

والواقع أن التفرقة بين هذين اللونين من الشعر - على الرغم من المحاولة الجاهزة لتحديد المصطلحين - لا تزال غير واضحة ، فما يزال بين اللونين « خيط رفيع » يسمح بتداخل التقسيم القديم إلى شعر طبع وشعر صنعة في هذا التقسيم الجديد ، وهو تداخل لم يستطع الأستاذ الجليل أن ينجو منه ، إذ نراه في بعض مواضع من كتابه يربط بين شعراء الاحتراف والصنعة ربطاً ينتهي به إلى حملة ظالمة على البلاغة العربية أنها أساءت إلى الشعر العربي أكثر مما أحسنت . وفي ظني أن هذه الحملة ترجع إلى أن الأمر اختلط على الأستاذ الجليل بين التصوير الفني الذي هو أساس العملية الفنية وبين المحسنات البديعية التي ابتلى بها الشعر العربي في بعض عصوره الأدبية ، وتحول معها عند بعض الشعراء إلى صور من العبث اللفظي ، والشعر - قبل كل شيء - سواء أكان شعر طبع أم شعر احتراف ، وسواء أكان شعراً عربياً أم غير عربي ، صنعة ولا يمكن أن يخلو منها ، حتى شعر الطبع بالمفهوم النقدي القديم تدخل فيه الصنعة . ففي الشعر - كما في أي فن آخر - جانب من الصنعة لا بد منه حتى يستقيم للشاعر عمله الفني ، وتتم له السيطرة على أدوات فنه ووسائله . وتحقق له تلك الصورة الخاصة من صور التعبير التي تحتاج - مع الموهبة - إلى كثير من الجهد والأناة - ولست نكر أن البساطة - في حد ذاتها - جميلة ، وأنها تبدو في بعض المجالات قادرة على نقل الإحساس ، ولكن البساطة وحدها لا تكفي لإقامة بناء فني متكامل ، لأن قدرتها على نقل الإحساس ، وإثارة الانفعال محدوده الطاقة من ناحية ومحدودة النطاق من ناحية أخرى .

والأمر الذي لا شك فيه أن هذا « الخيط الرفيع » بين اللونين لا يسمح بأن نُصِفَ في دقة الشعر العربي في خزانتي منفصلتين : إحداهما لشعر الطبع ، والأخرى لشعر الاحتراف ، وعلى سبيل المثال هل نستطيع أن نجعل كل شعر المدح على امتداد الطريق الطويل الذي سلكه الشعر العربي ، وعلى تعدد مذاهبه واتجاهاته ، وتنوع شعرائه شعر احتراف خالص مجرد من أي تعبير عن